

المصباح

١٣١٥

في يوم السبت ٢١ ربيع الأول سنة ١٣١٧ الموافق ٢٩ يوليو (تموز) سنة ١٨٩٩

الحياة المليّة

ملخص خطاب ألقاه منشىء هذه المجلة في جمعية «شمس الاسلام»

يأيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم
أيها الاخوان - لا أرى موضوعاً أسمى بحالنا من موضوع (الحياة المليّة)
الذي ذكرته في الآيات الكريمة التي جاءت في خطاب الأخ الأكبر رئيس
الجمعية وافتتحت بها كلامي هذا . لأبحث في التقدم والتأخر ولا في الترقى
والندى ولا في القوة والضعف ولا في العزة والذلة فان جميع هذه الشؤون
والاطوار إنما تكون للامم الحية النامية اذ منها الآخذ في النمو بحركة
الاستمرار وهي ذات التقدم والترقى والقوة والعزة ومنها ما تنجذب به قوتها
التحليل والتركيب فيكون حظه من هذه الاطوار وما يقابلها تابلاً لغلبة
احدى القوتين اللتين هما ميزان الحياة القومية الامية ولا شك ان رجحان
كفة التحليل يؤدي الى الفناء وفقد الحياة بالكلية

لقد بدا هذا التحليل في جسم حياتنا المليّة من عهد بعيد حتى تلاشى
هذا الجسم أو كاد ولم يبق فيه ما يقبل التحليل فكان اول واجب علينا ان نتلّس
العلاج الذي يعيد الينا حياتنا المفقودة . يدل على فقداننا هذه الحياة حديث

(بدا الاسلام غربياً وسيمود كما بدا) ومن الناس من يفهم من هذا الحديث ان الاسلام اذا وصل الى هذه الحالة لا يعود اليه مجده ولا ترد اليه حياته . ولنا ان نقول انه صريح في ان نشأته الثانية ستكون كنشأته الاولى - غربة وضعف ثم معرفة وقوة وسيادة تجمع أطراف السماده (كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون)

بماذا نحيا ؟ لا حياة لنا الا بما حيي به اسلافنا من قبل وما كانت حياتهم الا بروح القرآن . أترون من البعيد ان تعود الينا حياتنا بهذا الروح الشريف ؟ كيف وقد عاش آباؤنا الاولون بالاستقاء من ينبوع المنفجر من عين الحياة الازلية الابدية وانما متنا بتراب الاستقاء منه ! كتفاء بالوشل الآجن الذي ينضح من آنية أمثالنا المخلوقين . ان القرآن قد صارع الحمجية العربية فصرعها وغالب جيوش الوثنية فنلها وزرع فسيل المدنية الفضلى في تلك الارض التي كانت معشوشبة بجميع الاعشاب الخيثة فاجت هذه الاعشاب وانمي ذلك الفسيل فكان أدراعاً عظيمة اثمرت من كل زوج بهيج . اشهر عند مشركي العرب ان القرآن ماخالط قلباً الا وجذبه الى الحنيفية وقاده الى جنة الاسلام بسلاسل الاقناع والبرهان فحملهم الحرص على عقائدهم وحب البقاء على تقاليدهم على مقاواته بما يمكنهم فكان امثل رأي ارتأوه في ذلك ماقصه الله علينا بقوله (وقالوا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تتلبون) رأوا عدم السماع له بالمرّة وهو رأي الجبناء في الهزيمة ورأوا مقابله باللغو واللفظ لا يسبق منه الى الاذهان شيء فيقتادها الى ما لم يكن من مرادها وان كان فيه هدايتها ورشادها ولم يكونوا مع هذا على ثقة من القلب وانما هو الامل والرجاء* تثسبت به النفوس في البأساء والضراء . وبلغ من

عندهم للقرآن ما قصه الله تعالى عليه بقوله عز من قائل « واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فاضرب علينا حجارة من السماء او ائتنا بمذاب اليم » فاذا كان القرآن قد احيا اولئك الاقوام مع شدة كراهتهم لهذا النوع من الحياة ومقاومتهم له بما علمنا من المقاومة وكانوا منه في امر مريب فكيف لا يحيينا ونحن نوقن بأنه كلام الله الذي (يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد)

ان الحياة التي تفيض علينا امواها من انابيب القرآن تكفل لنا سعادة الدارين وتمنحنا الفوز بالحسنين ولا نلزم ديناً جمع بين مصالح الروح والجسد ومنافع الدنيا والآخرة على وجه الكمال الا دين القرآن الذي علمنا ان ندعو الله تعالى بقوله (ربنا اننا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار) يقول نبي هذا الدين صلى الله عليه وسلم (اليد العليا خير من اليد السفلى) ويقول (لان تدع اولادك اغنياء خير من ان تدعهم عالة يتكفون) ويفضل بمثل هذا علماؤنا الفني الشاكر على الفقير الصابر والشاكر هو الذي يصترف من فضل ماله في وجوه البر والمنافع العامة * هذا وان كتب الاديان الاخرى تقول (لا يدخل الفتي ملكوت السماء حتى يدخل الجمل في سم الحياط) . كان من اهل هذا الدين من افراط في الزهادة وبالع في البعد عن أعمال الدنيا بل وفي التنفير عنها وهو لاء قد عملوا بنصف الدين الاسلامي وتركوا النصف الاخر ولا اعبيهم جميعا فان منهم قوما قاموا بخدمة مولاهم واخلصوا له في سرهم ونجواهم ولكن اقول انهم لا يصلحون للتقوية والارشاد وان الدين يتمسكون بركني الاسلام كليهما - ركن الدنيا وركن الآخرة - افضل منهم . ذكر رجل للنبي صلى الله عليه وسلم ووصف من صيامه وقيامه

وانقطاعه للمباداة ما اوجب العجب فسألهم عن معاشه فقالوا ان له اخاً
يكتسب وينفق عليه فقال (اخوه افضل منه) . القرآن صريح في طلب اقامة
الركنين معا ولكن الغالين في الزهادة اغضوا عن مثل قوله (ولا تنس
نصيحتك من الدنيا) ومثل (قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات
من الرزق قل هي للذين امنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة) واخذوا
بالايات التي تتعلق بركن الاخرة فقط . ان الاحاديث في الزهاده كثيرة تبدأ
ولكن الكثير منها بين ضعيف وموضوع لا اصل له وما كان منها صحيحا
فالفرض منه كبح جماح النفوس المجرولة من طينة الطمع كيلا تتعدى حدود
الحق وتحب المال لذاته فيمسك اصحابها الفضل منه عن المنافع العامة واعمال البر بل
ويعنون الحقوق فيكونون عبيد المال والهوى . اذ كرم من ذلك قوله صلى الله عليه وسلم
تمس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الحميصة ان اعطي رضي وان لم يعط
سخط تمس ولا اتعش واذا شيك فلا اتعش) رواه البخاري من حديث طويل
اشار الاخ الاكبر في خطابه الى ان مدنية اوربا مقتبسة من الاسلام
وما قال الا حقا اعترف به بعض فلاسفة الاوربيين ومؤرخيهم من قبل .
لاقول ان كل فرع من فروع هذه المدينة يوجد في الكتاب والسنة كما
لاقول ان كل فرع من فروع الفقه منصوص عليه فيها وانما جاء هذا الدين
بقواعد عامة وارشادات كلية يمكن للانسان ان يهتدي بها الى سعادة الدنيا
والاخرة معا فكما استنبط الفقهاء وعلماء الاخلاق الاحكام والمسائل القضائية
والادبية وغيرها من تلك القواعد كذلك اهتدى علماء الاجتماع بها الى
المسائل والفروع المدنية التي تتعلق بال عمران وترقي نوع الانسان * اشير الان
الى بعض تلك القواعد بالاجاز واذا امهل الزمان فاني افصل القول فيها تفصيلا

في اجتماع آخر ان شاء الله تعالى

من تلك القواعد قاعدة سنن الكون ونواميس الاجتماع والعمران التي بها تعرف اسباب ترقى المجتمع الانساني وتبدليه ومن راعاها في سيره فاز بامانيه وقد ارشدنا القرآن الى هذه السنن الالهية وهي التي يعبر عنها الفلاسفة بالنوانميس الطبيعية وبين لنا انها تعرف بالسير في الارض والنظر في احوال الامم فقال (قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الارض فانظروا) وقال (سنة الله في الدين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا) وقد اهتدى الاوريون الى معرفة هذه السنن ورعوها في سيرهم حتى رعايتها فرجت بهم الى الاوج الذي نراهم فيه . ومن تلك القواعد استعمال العقل في العلم والدين والاخذ بالبرهان وقد كانت الامم الاوربية كغيرها محجورا عليها ان تعتقد غير ما يقوله رؤساء الدين حتى جاء القرآن يخاطب العقل وينعي على اهل التقليد ويقول (هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين) وينادي على رؤوس الاشهاد (قل هذه سبيلي ادعوا الى الله على بصيرة انا ومن اتبعني) ومنها حرية الفكر والقول والعمل داخل حدود شريعة الامة والبلاد واستقلال الارادة وتقييد سلطة الرؤساء الروحانيين والسياسيين الى غير ذلك مما لا محل لشرحه وتفصيله

على هذه القواعد والاركان قامت مدينة اوربا وهي لم توجد في المالم الا بوجود القرآن هذه القواعد اهم اركان السعادة الدنيوية وقد اعرضنا عنها فشقينا في دنيانا واخذوا بها فسمدوا وسادوا حتى علينا ولو اعادوا النظر الى القرآن ككرة اخرى لرأوا فيه اسباب السعادة الاخرية والقوم اذا علموا عملوا ولا يبعد ان يسبقونا في السعادة الثانية مادمننا على هذا الكسل والاهمال *

فأقترح على اخواني اعضاء هذه الجمعية ان يطالب كل فرد منهم نفسه بتدبر
القران وفهم معانيه عند التلاوة ومن وقف فهمه في شيء فليراجع عنه في كتب
التفسير ان كان اهلا للمراجعة والا فليرجع الى الذين يفهمون (فاسألوا اهل
الذكر ان كنتم لاتعلمون) اهـ

هذا ما احيت نشره في المنار لما استحضرت من الخطاب ورمزت كلمات ونقصت مثلها
لانني لما كن ممن بقي حافظا ما يقوله ارجحالا

﴿ كان ياما كان ﴾

ع

بعد ما صعدت السيارة الثالثة الى العلاء * هبطت السيارة الرابعة من
السماء * تريد بيع (العمر الطويل) * بالثمن العليل * ليطمع الناس بما اشتروه
من السيارات السائقات * من النعم السابقات * وهي الذكاء والقطانة *
والعفة والاستقامة * والصحة والماقية * وكفي بها نعماً ضافية * ولم تكن
تعلم ما قوبلت به بضاعتهم من الكساد * وما ذا حل بهم من الطرد
والابعاد * فوقفت في مكان فسيح * ونادت بكلام فصيح * يا أصحاب
العقل والفكر * هل لكم في طول العمر * فقد أمرت بان ابيعه لمن اراد *
بشرط الاهلية والاستعداد * فبرع الناس اليها * وتكأ كأوا عليها * حتى
صار يموج بعضهم في بعض * كأنهم في يوم العرض * وطمع احد الاغنياء
باحتكار هذه البضاعة لنفسه * والاستئثار ببيعها دون أبناء جنسه * فأرسل
وكيل اشغاله * وكبير عماله * يساوم السيارة * بجميع التجاره * ولما علم الناس
بذلك * ضاقت بهم المسالك * لعلمهم بما وراء هذا الاحتكار * من انواع